@ 81 @ وأن تكونوا من أصحاب السعير فلم يكتف ربنا بنهينا عن اتباع خطواته حتى أخبرنا - وهو أصدق القائلين - بعداوته الداعية للحذر منه ثم لم يكتف بذلك حتى أخبرنا بتفصيل ما يأمر به وأنه أقبح الأشياء وأعظمها مفسدة فقال : ! 2 2 ! أي : الشر الذي يسوء صاحبه فيدخل في ذلك جميع المعاصي فيكون قوله : ! 2 2 ! من باب عطف الخاص على العام لأن الفحشاء من المعاصي ما تناهى قبحه كالزنا وشرب الخمر والقتل والقذف والبخل ونحو ذلك مما يستفحشه من له عقل ! 2 2 ! فيدخل في ذلك القول على ا بلا علم في شرعه وقدره فمن وصف ا بغير ما وصف به نفسه أو وصفه به رسوله أو نفى عنه ما أثبته لنفسه أو أثبت له ما نفاه عن نفسه فقد قال على ا بلا علم ومن زعم أن ندا وأوثانا تقرب من عبدها من ا فقد قال على ا بلا علم ومن قال : إن ا أحل كذا أو حرم كذا أو أمر بكذا أو نهى عن كذا بغير بصيرة فقد قال على ا بلا علم ومن قال : إن ا خلق هذا الصنف من المخلوقات للعلة الفلانية بلا برهان له بذلك فقد قال على ا بلا علم ومن أعظم القول على ا بلا علم أن يتأول المتأول كلامه أو كلام رسوله على معاني اصطلح عليها طائفة من طوائف الضلال ثم يقول : إن ا أرادها فالقول على ا بلا علم من أكبر المحرمات وأشملها وأكبر طرق الشيطان التي يدعو إليها فهذه طرق الشيطان التي يدعو إليها هو وجنوده ويبذلون مكرهم وخداعهم على إغواء الخلق بما يقدرون عليه | وأما ا تعالى فإنه يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي فلينظر العبد نفسه مع أي : الداعيين هو ومن أي : الحزبين ؟ أتتبع داعي ا الذي يريد لك الخير والسعادة الدنيوية والأخروية الذي كل الفلاح بطاعته وكل الفوز في خدمته وجميع الأرباح في معاملته المنعم بالنعم الظاهرة والباطنة الذي لا يأمر إلا بالخير ولا ينهى إلا عن الشر أم تتبع داعي الشيطان الذي هو عدو الإنسان الذي يريد لك الشر ويسعى بجهده على إهلاكك في الدنيا والآخرة ؟ الذي كل الشر في طاعته وكل الخسران في ولايته الذي لا يأمر إلا بشر ولا ينهى إلا عن خير | ثم أخبر تعالى عن حال المشركين ؛ إذا أمروا باتباع ما أنزل ا على رسوله - مما تقدم وصفه - رغبوا عن ذلك وقالوا : ! 2 2 ! فاكتفوا بتقليد الأباء وزهدوا في الإيمان بالأنبياء ومع هذا فآباؤهم أجهل الناس وأشدهم ضلالا وهذه شبهة لرد الحق واهية فهذا دليل على إعراضهم عن الحق ورغبتهم عنه وعدم إنصافهم فلو هدوا لرشدهم وحسن قصدهم لكان الحق هو القصد ومن جعل الحق قصده ووازن بينه وبين غيره تبين له الحق قطعا واتبعه إن كان منصفا | ثم قال [تعالى] : ! 2 2 ! | لما بين تعالى عدم انقيادهم لما جاءت به الرسل

وردهم لذلك بالتقليد علم من ذلك أنهم غير قابلين للحق ولا مستجيبين له بل كان معلوما لكل أحد أنهم لن يزولوا عن عنادهم أخبر تعالى أن مثلهم عند دعاء الداعي لهم إلى الإيمان كمثل البهائم التي ينعق لها راعيها وليس لها علم بما يقول داعيها ومناديها فهم يسمعون مجرد الصوت الذي تقوم به عليهم الحجة ولكنهم لا يفقهونه فقها ينفعهم فلهذا كانوا صما لا يسمعون الحق سماع فهم وقبول عميا لا ينظرون نظر اعتبار بكما فلا ينطقون بما فيه خير لهم | والسبب الموجب لذلك كله أنه ليس لهم عقل صحيح بل هم أسفه السفهاء وأجهل الجهلاء | فهل يستريب العاقل أن من دعي إلى الرشاد وذيد عن الفساد ونهي عن اقتحام العذاب وأمر بما فيه صلاحه وفلاحه وفوزه ونعيمه فعصى الناصح وتولى عن أمر ربه واقتحم النار على بصيرة واتبع الباطل ونبذ الحق - أن هذا ليس له مسكة من عقل وأنه لو اتصف بالمكر والخديعة والدهاء أنه من أسفه السفهاء | (172 - 173) ! 2 2 ! هذا أمر للمؤمنين خاصة بعد الأمر العام وذلك أنهم هم المنتفعون على الحقيقة بالأوامر والنواهي بسبب إيمانهم فأمرهم بأكل الطيبات من الرزق والشكر على إنعامه باستعمالها بطاعته والتقوي بها على ما يوصل إليه فأمرهم بما أمر به المرسلين في قوله : ! 2 2 ! فالشكر في هذه الآية هو العمل الصالح وهنا لم يقل حلالا لأن المؤمن أباح ا له الطيبات من الرزق خالصة من التبعة ولأن إيمانه يحجزه عن تناول ما ليس له | وقوله : ! 2 2 ! أي : فاشكروه فدل على أن من لم يشكر ا فلم يعبده وحده كما أن من شكره فقد عبده وأتى بما أمر به ويدل أيضا على أن أكل الطيب سبب للعمل الصالح وقبوله والأمر بالشكر عقيب النعم ؛ لأن الشكر يحفظ النعم الموجودة ويجلب النعم المفقودة كما أن الكفر ينفر النعم المفقودة ويزيل النعم الموجودة | ولما ذكر تعالى إباحة الطيبات ذكر تحريم الخبائث فقال : ^ (إنما حرم